THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الشريط الثالث

﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[النحل:78]، فمعرفة الإنسان باتفاق العقلاء والحكماء واتفاق أهل الشرع أنها إنما تكون شيئاً فشيئاً، وهذا هو الذي يسمى عند الفلاسفة نظرية المعرفة، أو نظرية حصول المعارف، وهي كما قلنا تأتي شيئا فشيئا.

وهي مبنية على قسمين:

- **القسم الأول**: أنَّ هناك أشياء يدركها بحواسه؛ باللمس، بالبصر، بالشم، بالذوق، بالسماع، بحواسه يدرك، وهذا نوع من تحصيل المعارف، نوع من المعارف يحصل للإنسان بحواسه، وهذا أول ما يبدأ بها الصغير.
- **القسم الثاني**: ما يحصل بعقله وإدراكه، وهذا مبني على المقارنة.

وهذا القسم الثاني مبني على الأول، وهو أنه يقارن الأشياء مع ما أحسها.

فالمحسوسات التي أدركها بعينه وبشمّه وبذوقه وبسمعه وبلمسه للأشياء، هذه تسمى ضرورية؛ لأنَّ وجودها لا يحتاج إلى برهان.

وغيرها مما يَحْصُلُ به المعرفة، إنما يكون منسوباً عنده لهذه الأشياء.

فيرى مثلاً هذا العمود، فيراه بإحساسه ذا حجم، ثم يرى عموداً آخر أصغر منه، فيراه مختلفاً عنه في الطول، فعقد المقارنة وقال هذا أصغر من هذا، ثم عقد المقارنة فقال هذا أكبر من هذا، عقد المقارنة بين الألوان فقال هذا أبيض وهذا أسود وهذا أحمر، عقد المقارنة بين الأشياء الحرارية فقال هذا بارد وهذا متوسط وهذا دافئ وهذا حار إلى آخر ذلك.

وهذا نتحصَّلُ منه على القاعدة المتفق عليها بين القائلين بنظرية المعرفة، وهي صحيحة شرعاً على القَدْرْ الذي ذكرتُ لك بأنه لا يمكن للوَهَم - وهم الإنسان - ولا يمكن لفهمه أن يدرك شيئا ولا أن يبلغه وهَمه وفهمه إلا:

- ❐ إذا رآه.
- ❐ أو أحس بأحد الحواس.
- ❐ أو رأى ما يماثله ويشابهه فيقيس عليه.
- ❐ أو رأى ما يقيسه عليه ولو لم يَرَ ما يماثله أو يشابهه إذا أمكنه القياس.

فمثلا نذكر صفة حيوان ما، إذا قيل لك هناك حيوان اسمه (القَلَعَ) - أَيُ اسْمْ - فأنت مباشرة تتصور ولو لم تعرف حقيقته، أنه ما دام أنه حيوان يمكن أن تقيس وتُخْرِجْ بعض الصفات لأننا ابتدأنا وقلنا حيوان، فإذا قلت إنه أكبر من الفيل ذهبت إلى شيء آخر، إذا قلت أنه أصغر من الفيل بَدَأَتْ تَتَحَدَدْ وتَقْرُبْ عندك؛ لأنك أدركت هذه الأشياء بما رأيت، أو بما يمكنك أن تقيس عليه.

ولهذا نقول لا يمكن لأحد أن يدرك شيئاً ولا أن يَتَحَصَّلَ منه على معرفة يبلغها وهمه ويدركها فهمه:

❐إلا إذا رآه. ❐ أو رأى مثيله وشبيهه. ❐ أو رأى ما يقاس عليه.

المثيل والشبيه، مثلاً تقول أكلنا خبزاً في بلد كذا، ما دام ذكرت الخبز. نحن أكلنا الخبز هناك، إذا قلنا لك الخبزة طولها ثلاثة أمتار طولها نأخذها ونقطعها، تعرف أنَّ الخبز دقيق أوبر إلى آخره، فعرفت مثيله أو شبيهه، فيمكن أن تدرك الآخر برؤيتك لما يدخل معه في الشبه أو في المثلية.

الله I لم تُدْرِكْهُ الحواس I، ولم يُرَ مثيل له أو شبيه له، ولم يُرَ ما يمكن أنْ يقاس الحق عليه Y.

ولذلك دخول المعرفة أو إدراك المعرفة أو حصول المعرفة بالله Y لا يمكن أن تكون بالأوهام أو الأفهام أو بالأقيسة أو بما تراه.

ولهذا احتاج الناس إلى بَعْثَةْ الرسل تُبَيِّنْ لهم صفة ربهم Y وصفة خالقهم؛ لأنه Y لم يُر، ولم يُدْرَكْ مثله، ولا ما يشبهه سبحانه، ولا يمكن أيضا أن يُقَاسْ على شيء، لذلك كان لابد من بعثة

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الرسل لبيان ذلك.
وهذا يعني أنه سبحانه (**لا تَبلُغُه الأوْهَامُ، ولا تُدْرِكُهُ الأفْهَامُ**) كما ذكر المصنف.
فإذاً قوله (**لا تَبلُغُه الأوْهَامُ، ولا تُدْرِكُهُ الأفْهَامُ**) مُنْطلِق من مسألتين كبيرتين ذكرتهما لك في هذه المسألة.

المسألة الثانية

أنَّ (**الأوْهَامُ**) و(**الأفْهَامُ**) هذه عَبَّر عنها بقوله (**لا تَبلُغُه الأوْهَامُ**) في (**الأوْهَامُ**)، وفي (**الأفْهَامُ**) قال (**ولا تُدْرِكُهُ الأفْهَامُ**).
وهذا راجع إلى أن الوهَم - يعني ما يتوهمه الإنسان - غير ما يفهمه.
فالوهم راجع للخيال، والفهم راجع للأقيسة والمقارنات.
ولهذا الرب Y لا يمكن تَخَيُّلُهْ، ولا يمكن أيضا أنْ يُفَكَّرَ فيه فَيُدْرَكْ.
وهذا معنى قول الله Y ﴿**لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ**﴾[الأنعام:103] I.
(**لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ**) سبحانه، هنا الأبصار يأتي معنى البصر؛ هو سبحانه لا يحيط به البصر إذا رآه أهل الإيمان في الآخرة.
وفي الدنيا لا تدركه الأبصار أيضاً التي هي الرؤى والعيون، وكذلك الأبصار التي هي الأفهام والأوهام لا تدركه Y.
فالفهم إذاً منقطع، والوهم إذاً منقطع.
ولهذا قال بعض السلف (**ما خطر ببالك فالله Y بخلافه**)، لم؟
لأنه ذَكَرْتُ لك أنّه لا يمكن أنْ يخطر ببالك ولا أن تتخيل إلا شيء مبني على نظرية المعرفة من قبل، وهذا مقطوعٌ يقيناً.
إذاً فصار الأمر أنّ إثبات الصفات لله Y بأنواعها مع قَطْعْ الطَّمع في بلوغ الوهَم لها من جهة الكيفية والكُنْه، وكذلك من جهة إدراك الأفهام لتمام معناها، فمن الجهتين:
❒كنه الصفة – الكيفية -❒ وكذلك تمام المعنى.
هذا لا يمكن أن تبلغه الأوهام، ولا أن تدركه الأفهام.
نقف عند هذا القدر وهذه الجمل في أولها، مثل ما ذكرت لك راجع إلى مسائل مختلفة لا ينتظمها زِمَامْ، ويأتي بعد ذلك المسائل العقدية بتفصيلها إن شاء الله تعالى.

الأسئلة

س1/ يقول على القاعدة التي ذكرتم؛ وهي أنَّ الاسم إذا كان منقسماً فإنه لا يطلق على الله، فماذا يقال في اسم الباسط والقابض، فإن هذين الاسمين منقسمين فالبسط يكون للخير وقد يكون للشر, وكذلك القبض قد يكون للخير وقد يكون للشر؟
ج/هذا سؤال جيد، وجوابه راجع إلى معرفة أنّ الأسماء الحسنى منها ما لا يكون كمالا إلا مع قرينه، مثل الخافض الرافع، فالرافع لما اقترن بالخافض صار كمالاً مثل القابض الباسط، الله Y قال ﴿**وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ**﴾[البقرة:245] القابض الباسط I، الضار النافع Y، فثَمَّ من الأسماء الحسنى ما لا يكون دالاً على الكمال بمفرده، ولا يسوغ التعبيد له، مثل الضار هو من الأسماء الحسنى، ما نقول عبد الضار وأشباه ذلك، مثل المميت، المحيي المميت، ما نقول عبد المميت؛ لأن هذه الأسماء تطلق على وجه الكمال وتكون حسنى مع قرينتها، لهذا تجد أنها ملازمة للاسم القرين.
لهذا نقول الباسط صار كمالا بالقابض، فيطلق منفردا لأن كماله باسم الله القابض، والقابض أيضا هو كمال باسم الله الباسط لكنه لا يُعَبَّدُ له كما يعبد للباسط، ومثله النافع والضار، الضار كماله بالنافع والنافع كماله بالضار، لأنه يدل على القهر والجبروت لله Y، وكذلك المحيي المميت. وهذا يأتينا عند قوله إن شاء الله (**مُمِيتٌ بِلا مَخَافَةٍ**).
س2/ لماذا تقولون أنّ عقيدة أهل السنة والجماعة من عقيدة التابعين، ونجد كثيرا من التابعين قد غلط في الأسماء والصفات؟ فهل نقول عقيدة الصحابة ولا نقول عقيدة التابعين؟

الشريط الثالث

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ج/ أولاً من حيث الأدب في السؤال ما يناسب لطالب العلم أن يسأل بقوله (لماذا تقولون؟) لأن هذا فيه منافاة لأدب المتعلم مع المعلم، هذه واحدة.

ثانياً أنَّ قوله (نجد كثيرا من التابعين قد غلط في الأسماء والصفات) التابعون إذا أراد بالذين غلطوا في الأسماء والصفات من أدركوا الصحابة، فليس هؤلاء من التابعين للصحابة بإحسان، لهذا قال Y ﴿**وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ**﴾[التوبة:100] ليس كل من تبع فجاء تابعا للصحابة يكون محمودا.

لهذا نقول عقيدة الصحابة والتابعين. المراد بالتابعين الذين أثنى الله عليهم بأنهم تبعوهم بإحسان، أما الذين تبعوا الصحابة زمانا وخالفوهم عقيدة، وابتدعوا في الأسماء والصفات أو في القدر أو في الإيمان، كالخوارج والمرجئة والقدرية وأشباه هؤلاء، هؤلاء لا يدخلون أصلا في التابعين بإحسان، خير الناس قرن الرسول ﷺ ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، والمراد من كان منهم على الحق.

إن أراد السائل بعض الغلط المروي عن التابعين من أهل السنة؛ يعني ممن تبع الصحابة بإحسان، فإنه لا يقال أنهم غلطوا في الأسماء والصفات، وإنما حصل بعض العبارات التي يُنازعون فيها؛ لأنهم اجتهدوا، لكن لا يقال إنهم غلطوا في ذلك، ولكن يقال لهم اجتهدوا فينسب إليهم اجتهادهم ولا يعابون لا يعتبرون غلطوا، ما فيه مسألة يقال غلطوا فيها في الصفات؛ التابعين بإحسان، ولا غلطوا في الأسماء؛ لأنه إن غلط في هذا الأمر في أصل من أصول الصفات أو من الأسماء فإنه لا يكون من التابعين بإحسان.

س3/ ورد في الحديث (**نعوذ بِوَجْهِك الْكَرِيمِ وَسُلْطَانِك الْقَدِيمِ**)[1]؟

ج/ هذا معروف في البحث، السلطان هنا المقصود به الخَلْقْ؛ يعني الملكوت أو يُقْصَدْ به الصفة المتعلقة بذلك، وهذا فيه بحث زيادة على ما ذكرت، ولكن هذه الكلمة لا تعني أن القديم من أسماء الله Y، أو أنه من صفاته سبحانه؛ لأنه وُصِفَ به سلطانه سبحانه «**أَعُوذُ بِوَجْهِ الله الْكَرِيمِ وَسُلْطَانِهِ الْقَدِيمِ**» سلطان الله القديم الذي هو صفة تدبيره سبحانه، وهذه ليست راجعة إلى الاسم القديم الذي يدل على الذات، كما هو معلوم أن الأسماء تدل على الذات وتدل على الصفات.

س4/ ما الفرق بين الصفات والأفعال في قولك باب الصفات أضيق من باب الأفعال؟

ج/ يعني قد يكون هناك أفعال تضاف إلى الله Y، ولا نشتق منها صفة نصف بها الرب Y، فباب الأفعال أضيق من باب الصفات، فليس كل فعل أطلق أو أضيف إلى الله Y من فعله سبحانه نشتق منه صفة من الصفات، وكذلك ليس كل ما جاز أن يُخبَر به عن الله Y جاز أن نجعله اسما له سبحانه، أو أن نجعله صفة له سبحانه، وكذلك ليس كل صفة له Y يجوز أن نشتق منها اسم، مثل مثلا الصُّنع الله Y قال في آخر سورة النمل ﴿**صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ**﴾[النمل:88] فالصنع هذا صفة (**صُنْعَ اللَّهِ**)، (**صُنْعَ اللَّهِ**) هذا صفة لكن لا يجوز أن نشتق منها الصانع، لأنه كما ذكرنا الشروط لا بد أن تكون:

- **أولا**: جاءت في الكتاب والسنة.
- **ثانياً**: أن يكون يدعى بها، واسم صانع لا يدعى به الرب Y، لا نقول يا صانع اصنع لي كذا؛ لأنه لا يتوسل إلى الله به.
- **ثالثاً**: أنه ليس مشتملا على مدح كامل مطلق غير مختص.

مثال للأفعال مثل ﴿**اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ**﴾[البقرة:15]، ﴿**وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ**﴾، وهنا ﴿**وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ**﴾[الأنفال:30]، (**اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ**) جاء إضافة الأفعال هذه إلى الله Y، ما نقول نشتق منها صفة فيوصف الله بالمكر ويوصف الله بالاستهزاء وأشباه ذلك، هذا غلط؛ لأن باب الأفعال كما ذكرنا أوسع من باب الصفات، وباب الصفات أضيق؛ لأن المكر منقسم (**وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ**) جاء هنا إضافة (**يَمْكُرُ**) إلى الله Y (**يَمْكُرُ اللَّهُ**)

[1] أبو داود (466)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

لكن المكر صفة منقسمة إلى:

- المكر الذي هو بحق، وهو ما دلّ على كمال وقهر وجبروت وهو المكر بمن مكر به سبحانه، أو مكر بأوليائه، أو مكر بدينه، هذا.... حق.
- وإلى مكر مذموم وهو ما كان على غير وجه الحق [.....][2]

كذلك، ما نقول إنَّ من صفة الله الاستهزاء، كذلك الملل لا نقول من صفات الله الملل، وأشباه ذلك **«إنّ الله لاَ يَمَلّ حَتّى تَمَلّوا»**[3] أُطلق الفعل لكن لا نشتق منه الصفة؛ لأن الصفة منقسمة، كذلك من الصفة إلى الاسم، وهذا فيه قواعد ذكرها ابن القيم / في أول (**بدائع الفوائد**).

نقف عند هذا نسأل الله التوفيق والسداد.

---

[2] – كلام غير واضح

[3] البخاري (5861)/ مسلم (1863)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

لَا تَبْلُغُهُ الْأَوْهَامُ، وَلَا تُدْرِكُهُ الْأَفْهَامُ ، وَلَا يُشْبِهُ الْأَنَامَ.
حَيٌّ لَا يَمُوتُ، قَيُّومٌ لَا يَنَامُ.
خَالِقٌ بِلَا حَاجَةٍ ، رَازِقٌ بِلَا مُؤْنَةٍ.

هذه الجمل التي سمعنا من هذا المتن العظيم -الذي هو متن العقيدة الطحاوية- متصلة بما قبلها، والكلام فيما تقدَّم كان عن وصف الله Y بصفات الكمال ونعوت الجلال والجمال.

فقال / تعالى في وصفه I **(لا تَبلُغُه الأوْهَامُ، ولا تُدْركُهُ الأفْهَامُ، وَلا يُشْبِهُ الأنَامَ)** وهذه كما ذكرنا لك فيما سلف عامة في جميع الصفات وأنّ صفات الحق Y لا تشبه صفات الأنام بالقيد الذي ذكرناه لك مُفَصَّلاً فيما سلف.

وبعدها ذَكَرَ جملة من ما يُفارق به وصف الله Y صفة المخلوق فقال بعد قوله **(وَلا يُشْبِهُ الأنَامَ) (حَيٌّ لا يَمُوتُ، قَيُّومٌ لا يَنَامُ، خَالِقٌ بِلا حَاجَة، رَازِقٌ بلا مَؤُونَة، مُمِيتٌ بِلا مَخَافَةٍ، بَاعِثٌ بِلا مَشَقَّةٍ)**.

وهذه الصفات هي صفاتٌ وأسماء للحق Y، فإنّ صفة الحياة ثابتةٌ له Y، وكذلك صفة القيومية وصفة الخلق والرَّزق والإماتة والبعث له سبحانه.

وهو سبحانه المحيي والحي وهو القيوم Y كما قال سبحانه **﴿اللَّهُ لَا إِلَـهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾**[البقرة:255]، وكما قال **﴿الم(1)اللَّهُ لَا إِلَـهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾**[آل عمران:1-2]، وكذلك صفة الخَلق وصفة الرَّزق وغير ذلك من الصفات.

فأسماء الله Y كما هو معلوم مشتملة على صفات، وصفات الحق Y مباينة لصفات المخلوق من جهات:

- **الجهة الأولى**: أنّ الرب Y يتصف بالصفة على وجه الكمال، والمخلوق يتصف بالصفة على وجه النَّقص.
- **الجهة الثانية**: أنَّ الرب Y صفاته متلازمة؛ لأنه سبحانه له الكمال المطلق، وله الصفات العُلا الكاملة من كل وجه، وأما المخلوق فصفاته غير متلازمة بل قد يكون فيه جملة من صفات النقص، ويكون ثَمَّ فيه بعض الصفات التي هي كمال في حقه، وإن كانت في الجملة لا يتصف بها إلا لنقصٍ فيه.
- **الجهة الثالثة**: أنّ اتصاف المخلوق بالصفات وإن كان في أصل المعنى مشتركة مع صفات الحق Y لكنه اتصف بها على وجه الحاجة إليها، وأما الرب Y فهو متصف بصفاته لا على وجه الحاجة إلى آثار الأسماء والصفات؛ فمثلا المخلوق يُقدِّرُ أو يُقِيْمُ الأشياء لحاجته، ويخلق ما يخلق لحاجته، والله I **(خَالِقٌ بِلا حَاجَة)** ويَهَبُ المخلوقُ ويَرْزُقُ لحاجته، والله I يهب ويرزق ويُعطي وهو الغني Y **﴿أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾**[فاطر:15]، وهكذا في بقية الصفات.

فإذاً اتصاف المخلوق بالصفات التي يشترك فيها من حيث أصل المعنى مع الرب Y هو اتصاف على سبيل النقص، وهذا الاتصاف مع ضَمِيْمَةِ ما سبق أنْ ذكرنا لك فيما سلف لا يشبه فضلا أن يماثل صفات الرب Y.

لهذا فصَّل الطحاوي / بعد قوله **(وَلا يُشْبِهُ الأنَامَ)** بعض صفات الحق Y التي يتصف بها وفارق بها صفة المخلوق الذي ربما اتصف بتلك الصفات.

فقال / (وَلا يُشْبِهُ الأنَامَ. حَيٌّ لا يَمُوتُ، قَيُّومٌ لا يَنَامُ)

وكونه Y حياً، هذا دلَّ عليه العقل ودلَّ عليه السمع؛ يعني دل عليه الكتاب والسنة.

وقبل ورود الكتاب والسنة فالعقل يدلُّ على أنَّ الله Y موجود لكثرة الدلائل وتواترها وتتابعها على وجود الحق Y.

وكونه I موجوداً يدل باللازم الذي لا انفكاك منه على أنّه حي I، وحياته Y تدل على أنه متصف بصفات كثيرة.

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

فإذاً صار اسم الله (الحيّ) يدل عليه العقل قبل ورود السمع.

وكذلك اسم الله (القيوم) وصفة القيومية له Y هذه أيضاً يدل عليها العقل ويدل عليها السمع لأنه سبحانه هو الذي أقام الأشياء.

فكونه هو الخالق للأشياء يدل عقلاً أنه هو الذي أقامها وأنّ قيومِيَّتَهَا به Y.

إذا كان كذلك فنقول هذان الاسمان (الحي) و(القيوم) قد قيل فيهما -وهو قول قوي، وله حظ من الترجيح- أنهما اسما الرب Y الأعظمان.

فالاسم الأعظم الذي إذا دُعي به الرب Y أجاب، وإذا سُئِلَ به أعطى كما جاء في الحديث، هو في سورة البقرة وسورة آل عمران، وفيهما قول الله Y ﴿**اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ**﴾[4].

وهذا له معنى وذلك أنَّ الحي والقيوم بلوازمه؛ بلوازم اسم الحي وما يلزم من اسم القيوم يقتضي جميع الأسماء التي هي من أفراد الربوبية والصفات التي هي من أفراد الربوبية.

ولهذا عُلِّقَ إعطاء السائل سؤله في هذين الاسمين الأعظمين؛ لأنَّ إجابة السُّؤَّال وإعطاء الداعي ما دعا هذا متعلق بربوبية الله Y، فإذا انضم إليها إدانة العبد وإقراره بتوحيد الإلهية وأن الله Y لا إله إلا هو، صار هذا الدعاء (**اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ**) متضمناً لتوحيد الإلهية ولتوحيد الربوبية ولتوحيد الأسماء والصفات.

لهذا فإن اسم الحي واسم القيوم هما اسما الله الأعظمان اللذان إذا دُعي بهما أجاب وإذا سئل بهما أعطى، في قول قوي مرجَّح لأحد القولين في اسم الله الأعظم.

إذا تبين لك ذلك ففي قوله (**حَيٌّ لا يَمُوتُ، قَيُّومٌ لا يَنَامُ**) مسائل:

المسألة الأولى:

أنّ صفة الحياة صفةٌ مُشتَرَكة بين كل مخلوقات الله Y.

وكل حياة لها ما يناسبها، حتى الجماد له حياة تناسبه؛ حتى الشجر والحجر له حياة تناسبه.

وإنما سمي جماداً لأنه جامد في الظاهر؛ ليس له حركة ظاهرة، وإلا فإنه ليس بميت يعني لا حراك فيه ولا حياة، وإنما هو:

- ميت باعتبار عدم الحركة
- وجماد باعتبار عدم الحركة.

ولهذا فإنَّ اشتراك المخلوقات مع الرب Y في هذا الاسم وفي صفة الحياة هذا اشتراكٌ في أصل المعنى فكل له حياة تناسبه، على حسب القاعدة المعروفة: **وهي أن الصفات بما يناسب الذوات**.

فإثبات الصفات إثبات وجود لله Y لا إثبات كيفية، وصفات المخلوقات تناسب ذواتهم الوضيعة الضعيفة الفقيرة.

وهذا ظاهر أيضاً في صفتي السمع والبصر كما قد قرَّرْنَاهُ لكم مِراراً في قوله تعالى ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾[الشورى:11]، فإنّ صفة السّمع وصفة البصر مشتركة بين أكثر الكائنات الحية، وكذلك الحياة فهي مُشْتَرَكَة بين جميع الكائنات الحية، منها ما حياته بالروح والنفس، ومنها ما حياته بالنماء، ومنها ما حياته خاصة به كالصخور والتراب، وأشباه ذلك ولهذا كان ﷺ يقول كما رواه مسلم في الصحيح «**إني لأعلم حجرا بمكة ما مررت عليه إلا سلَّم علي**[5].

فإذاً إثبات هذه الصفة واسم الحي لله Y يدل على نفي التعطيل بجميع أنواعه، ويدل على إبطال التجسيم بجميع أنواعه.

ولهذا صار اسماً عظيماً مختصاً بالرب Y على وجه الكمال، لأنَّ المخلوق يعرف أنَّ حياته قصَّة قليلة يريد زيادتها فلا يستطيع، يريد أن يكون في وَصْفِهِ بالحياة أكمل من وصف غيره فلا يستطيع، فدلَّ على ظهور نقصه في الصفة المشتركة بينه وبين جميع المخلوقات.

---

[4] البقرة:255، آل عمران:2.

[5] انتهى الوجه الأول من الشريط الثالث، أما الحديث فهو في مسلم (6078).

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

المقصود من هذا إنَّ في إثبات صفة الحياة لله Y إبطال للتعطيل وإبطال للتجسيم على الوجه الذي ذكرته لك، وهو ظاهر في قوله ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ**﴾.

المسألة الثانية:

الله Y قال ﴿**اللهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ**﴾ وذلك لكمال حياته ولكمال قيوميته Y.

وقوله هنا (**حَيٌّ لَا يَمُوتُ، قَيُّومٌ لَا يَنَامُ**) دلَّتا على **القاعدة المقرَّرة** عند أهل السنة والجماعة وهي: **أنَّ وصف الرب Y بالنفي ليس مقصوداً لذاته وإنما هو لإثبات كمال ضد ما نفي**.

لهذا سبحانه أثبت الكمال له ثم نفي ليدل على إثبات الكمالات له Y، فلمَّا قال ﴿**اللهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ**﴾قال ﴿**لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ**﴾ ليدل على أنَّ قول ﴿**لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ**﴾ لكمال حياته ولكمال قيوميته، فنفى لتأكيد الإثبات.

وهذه هي القاعدة المقررة عند أهل السنة والجماعة فيما يُنفَى في القرآن وفي السنة عن الله Y إنما هو لإثبات كمال ضده من صفات الحق Y كما في قوله سبحانه ﴿**وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً**﴾[الكهف:49] لكمال عدله، وكما في قوله سبحانه ﴿**وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّاً**﴾[مريم:64] لكمال علمه سبحانه وحِفظِهِ سبحانه وقيوميته، وكقوله ﴿**لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (3) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ**﴾]الإخلاص] وأشباه ذلك.

المسألة الثالثة:

أنَّ اسم القيوم لله Y واسم الحي هذان الاسمان مُتَعَلِّقانِ بخلقه Y، يعني أنَّ لهما الأثر في خلقه سبحانه، وكل حياةٍ تراها في خلقه فهي من آثار حياته Y، وكل صلاح أو فعل تراه في خلقه فهو من آثار قيوميته Y.

واسم القيوم مبالغة لإثبات كمال قيامه I على الوجه المطلق بنفسه وبخلقه، فلفظ القيوم، اسم القيوم يدل على أنه سبحانه كامل فيما يختاره I لنفسه من الصفات التي تقوم بمشيئته واختياره وقدرته، وكذلك له الكمال فيما يقيم به خلقه Y .

وإذا تبيَّن ذلك فإن قول المؤلف (**قَيُّومٌ لَا يَنَامُ**) راجع إلى الآية ﴿**لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ**﴾ وذلك لكمال حياته، ﴿**وَلَا نَوْمٌ**﴾ وذلك لكمال قيوميته Y.

ففسَّر القيوم بأنه الذي لا ينام، وهذا كما ذكرت لك ليس تفسيراً لمعنى القيوم، فإنَّ معنى القيوم أنّهُ الذي قام بنفسه وأقام غيره، فليس ثَمَّ شيء إلا والله Y مُقيمٌ له على وجه ما تقتضيه حكمة الرب Y.

فإذا تبيَّن ذلك فإنَّ اسم القيوم لله Y واسم الحي له I لهما أثر في إجابة السؤال.

وهذا الأثر مرتبط بقاعدة كلية في ارتباط الإجابة بحسن السؤال، ولهذا قال Y ﴿**وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ**﴾[الأعراف:180] فدعوة الله Y بأسمائه يعني بما يناسب مقصودك من الأسماء.

وكل [.....] لك في حياتك فهو من آثار اسم القيوم، لأنك تحتاج ما تقيم به حياتك، وكل ما تُقيمُ به حياتك إنما هو من القيوم Y، فإذا أقامك Y على شيء أو أقام لك شيئاً فإنه سبحانه القيوم الذي هو ﴿**قَآئِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ**﴾[الرعد:33] I.

لهذا فإنَّ فقه الدعاء مرتبط بفقه الأسماء والصفات، فكلما كان العبد أعرف بأسماء الله وصفاته وآثارها في خلقه، كُلَّما كان أعرف وأعلم بسؤال الله بها وباستحضاره لمعنى ذلك كان ذلك أرجى لقبول الدعاء وحصول المطلوب.

المسألة الرابعة:

أنَّ اسم الحي واسم القيوم بلازمهما تدل على بقية صفات الرب Y، لأنَّ الحياة مستلزمة لكثير من الصفات، والقيومية مستلزمة لكثير من الصفات .

لهذا قال طائفة من المحققين من أهل العلم في هذا الباب (**إنَّ الصفات التي أثبتها الأشاعرة أو**

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أثبتها غيرهم من أهل البدع وزعموا إثباتها بالعقل أنَّهُم قَصَّروا في ذلك لأنَّ العقل بالتلازم واللزوم يُثْبِتُ صفات كثيرة لله Y أكثر من السبعة التي أثبتها طائفة منها بالعقل).

لهذا اسم الحي يستلزم صفات كثيرة، واسم القيوم يستلزم صفات كثيرة، لذا ينبغي أن يُتَأَمَّل هذا الموضع من جهة أنَّ حياة الرب Y واسم الرب Y (الحي)، وقيومية الرب Y واسمه القيوم يستلزمان عقلاً عدداً كبيراً جداً من الصفات لله Y.

وهذا موضع يُحْتَجُّ به على من يُثبِتُونَ الصفات بالعقل لأنَّ حياته سبحانه ثابتة عقلاً عند الجميع وكذلك قيوميته سبحانه ثابتة عقلاً عند الجميع.

قال بعدها (خَالِقٌ بِلَا حَاجَةٍ، رَازِقٌ بِلَا مُؤْنَةٍ)

وكما قال فيما سبق **(حَيٌّ لَا يَمُوتُ) قال هنا (خَالِقٌ بِلَا حَاجَةٍ، رَازِقٌ بِلَا مُؤْنَةٍ).**

و**(خَالِقٌ)** اسم فاعل من الخَلْقْ، فالخَلْقْ مصدر خَلَقَ الشيء يَخْلُقُهُ خَلْقاً.

واسم الخالق لله Y هو على مقتضى اللغة يشمل مراتب:

❍ المرتبة الأولى لصفة الخلق واسم الخالق: التقدير:

فإنَّ الخلق في اللغة هو التقدير كما قال Y **﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾**[المؤمنون:14] وقال سبحانه **﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً﴾**[الفرقان:2] تقدير الشيء على وفق علم المُقَدِّر.

وفي هذا قول الشاعر:

فأنت تَفري ما خَلَقْتَ وبعض القوم يخلق ثم لا يَفْرِي

(تَفْرِي ما خَلَقْتَ) يعني تقطع ما قدرت من الأمر أو من الصناعة.

(وبعض القوم –لعجزه- **يخلق)** يعني يقدر، **(ثم لا يَفْرِي)**

وهذه المرتبة ثابتة لله Y، فهو سبحانه المُقَدِّر للأشياء **﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً﴾** خَلَقَ كل الأشياء فقدَّرَها، فخَلْقُهُ كان مشتملاً على تقديرها شيئاً فشيئاً أو تقدير ما يصلح لها.

هذا وتقديره سبحانه للأشياء بلا حاجة لهذا التقدير.

فالمخلوق يُقَدِّر خشية ألا يصل إلى ما يريد، فإنَّ تقديره للأشياء شيئاً فشيئاً حتى يصل إلى نهايتها وحتى يكون ما يريد على وفق ما قدَّرْ أو على وفق ما يريده، فيحتاج إلى التقدير ليتم الأمر.

والله سبحانه حين قدَّر لا لحاجته لذلك، بل هو سبحانه يُجْرِي الأشياء وفق **(كن فتكون)** على وفق حكمته سبحانه بمشيئته الكونية، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

فكونه سبحانه قدَّر الأشياء لا لحاجة إلى التقدير، ولكن ليكون ذلك موافق لحكمته سبحانه، ولله الحكمة البالغة كما خلَقَ السموات والأرض في ستة أيام وهو قادر أن يخلقها Y بمباشرة الأمر لها بكن فتكون مرة واحدة.

❍ المرتبة الثانية لصفة الخلق واسم الخالق: هو تصوير الأشياء:

وتصوير الأشياء هو خَلْقٌ لها لأنها أعظم من التقدير العام، فإذا صوَّر الأشياء فقد خلقها كما قال سبحانه **﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾**[آل عمران:6] وفي حديث ابن مسعود المتفق عليه قال ﷺ **(إنَّ أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ثم أربعين يوماً مضغة ثم أربعين يوماً علقة))** ... إلخ، فجعل هذه المراتب داخلة في الخلق، وهذا يدل مع دلالات كثيرة على أنَّ التصوير خلق، وحين [.....] لا لحاجته سبحانه للتصوير بأنه لم ينفذ أمره إلا إذا صور كما يفعل الإنسان فإنه يصور الشيء الذي يريده **بمعنى يركب أعضاءه بأن يجعل هذا مع هذا لأنه لن يتم إلا بهذا**، ولو لم يفعل هذه الخطوة لا تتم له الخطوة التي بعدها لأنه بحاجة إلى ذلك.

فإذن التصوير عند المخلوق لحاجته إليه، والله I يخلق مُصَوراً لا لحاجته إليه، فهذه داخلة في قول المؤلف / **(خالق بلا حاجة)**

❍ المرتبة الثالثة لصفة الخلق واسم الخالق: هو البرء:

البرء، برء ما صور وهو إنفاذه على آخر مراحله وجعله خلقاً سوياً يريده الرب Y، ولهذا قال

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

في آخر سورة الحشر﴿**هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ**﴾[الحشر:24]، وهو I حين خَلَقَ وبَرَءَ البرية وصوَّرَها وجعلها على هذا المنوال وعلى اختلافها: الإنسان، الملائكة، الحيوان على ظهر الأرض وبطن الأرض والماء وفي السماء إلى آخر ذلك ليس لحاجته لهم ولا لأنه يستكثر بهم بل لابتلائهم ولإقامة هذا الملكوت على العبودية.

فإذاً قول المؤلف / (**خَالِقٌ بِلا حَاجَة**) هذا لكمال غناه I وكمال حمده سبحانه كما قال Y ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ(56)مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ(57)إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ**﴾[الذاريات:56-58]، وكما قال ﷺ في الحديث القدْسي (**قَالَ اللهُ تعَالَى: يَا عِبَادِي إِنِّي؛ حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي**)[6]إلى أن قال (**فإنَّكم لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي**) وقد قال Y ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ**﴾[فاطر:15].

<u>وكذلك قوله (رَازِقٌ بلا مَؤُونَة)</u>

وكونه سبحانه يرزق بلا نفقة يُنْفِقُهَا تُنْقِصُ مما عنده سبحانه، وبلا تعب، فهو سبحانه يرزق من يشاء بغير حساب، وما يفتح للناس من رحمة فإنه لا ممسك لها، وقد قال I ﴿**مَا يَفْتَحْ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ**﴾[فاطر:2]، وقال Y ﴿**بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ**﴾[المائدة:64]، وفي حديث أبو ذر المعروف قال (**أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ والأرض, فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ ممّا فِي يَمِينِهِ شَيْئًا**)[7]، وهذا لا شك أنه صفة الرب Y.

أما المخلوق فإنه إذا رَزَقْ فإنه يَرْزُقْ بكلفة وتعب، ويرزق لحاجته أن يرزق، ويرزق أيضاً لمؤونة تنقص وتزيد، والله سبحانه له الملك الأعظم في ذلك.

فتَبَيَّنَ أَنَّ معنى قوله (**رَازِقٌ بلا مَؤُونَة**) يعنى بلا كلفة ولا مشقة، أو بلا مؤنة يأخذ منها فتحتاج إلى أن تُمَوَّنَ، بل هو سبحانه لا يُنْقِصَ ما يُعْطِي خلقه من ملكه شيئاً، ولا يزيد فيه شيئا، بل هو سبحانه الرازق بلا مؤونة I.

نكتفي اليوم بهذا القدْر، ونكمل إن شاء الله تعالى الأسبوع القادم.

الأسئلة

س1/ هل يوصف المخلوق بكونه خالقا للأشياء؟

ج/ الجواب: لا، خلْق الأشياء هذا مختص بالرب Y، فهو I الذي يخلق الأشياء.

أما أن يوصف بكونه خالقا، فنعم، لكن لا يقال خالق للأشياء، الأشياء بيد الله Y، لكن يخلق ما يناسب، كما قال سبحانه ﴿**فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ**﴾[المؤمنون:14]، ويُعنى بالخلق هنا التقدير أو التصوير أو ما يناسبه، ولهذا قال ﷺ في الحديث الذي رواه البخاري وغيره (**مَنْ أَظْلَمُ مِمّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي؟ فَلْيَخْلُقوا حَبّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيرَةً**)[8]فأثبت لهم خلقا قال (**يَخْلُقُ كَخَلْقِي**)، ثم نفى عنهم خلقا فقال (**فَلْيَخْلُقوا حَبّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيرَةً**)، فدلّ على أنّ المخلوق يخلق أشياء؛ بمعنى يصورها أو يقدرها، أما برء الأشياء، أو برء الأمور؛ بمعنى إخراج الصور يعني فيها حياة فهذه لله Y.

أما تصنيع الجمادات فهذا نوع من الخلق؛ لأنه تقدير وتصوير.

س2/ يستدل أهل التعطيل والتجسيم بقوله تعالى ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾[الشورى:11] على باطلهم، وقد رد أهل السنة والجماعة بردود عليهم في ورود الكاف والمِثل في الآية، فما هو وجه استدلال المعطلة والمجسمة؟ وما هو الرد الصحيح والوجه الصحيح من ردود أهل السنة في

---

[6] مسلم (6737)

[7] البخاري (4684)/ مسلم (2356)

[8] البخاري (7559)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

زيادة الكاف؟

ج/ سبق أن ذكرناه أظن مفصلاً في الدرس الماضي، أو الذي قبله، أظن في أول الدروس، أو عند قوله ولا يشبهه شيء أو(**وَلا يُشْبِهُ الأَنَامَ**)، أو في أوله عند قوله (**وَلا شيءَ مثْلُهُ**) [9].

المقصود أن استدلال المبتدعة بقوله (**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**) مَصِيرٌ منهم إلى أن المثلية هنا قد تكون ناقصة، فيكون هناك مطلق التشابه منفيا، وهذا سيكون مطلق التشابه منفيا، وقد ذكرنا لكم أنّ المراد هنا المماثلة والمماثلة منفية في كل حال، والمشابهة في الكيفية أو في كمال المعنى؛ يعني في المعنى المطلق أيضا منفي، وأما المشابهة في مطلق المعنى وهو أصله الذي حصل به الاشتراك فإن هذا ليس منفيا؛ لأن هذا أثبته الرب Y.

س3/ ما هو أفضل كتاب شرح الأسماء الحسنى واعتنى بمعناها؟

ج/ أحسن ما أُلف في ذلك فيما أعلم كتاب (**النهج الأسمى**) لأحد طلبة العلم في الكويت محمد الحمود، وهو من أنفع ما كتب في ذلك، ويليه ما فرقه الشيخ عبد الرحمن بن سعدي في كتبه من معاني الأسماء و الصفات.

س4/ هل الله Y محتاج إلى عبادة العابد كما قال ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ(56)مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ**﴾[الذاريات:56-57]، فهو لا يحتاج سبحانه للرَّزق ولا للإطعام ولكن أثبت العبادة ؟

ج/ ما أدري ما وجه السؤال.

(**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**) اللام هنا هذه لام (كي) لام الحكمة وليست لأجل الحاجة.

س5/ هل يقال إنَّ الصفات الذاتية راجعة إلى صفة الحياة، والصفات الفعلية راجعة إلى صفة القيومية؟

ج/ لا، لا يقال ذلك من مثل صفة الرحمة ذاتية باعتبار وفعلية أيضا، ولكنها راجعة أيضا لقيوميته، فهو سبحانه أقام خلقه على الرحمة.

س6/ كيف نعرف أن نفي صفة من صفات النقص تدل على الكمال المطلق؟

ج/ أي نفي جاء في الكتاب والسنة؛ نفي صفة عن الله Y فالمراد من هذا النفي إثبات كمال الضد؛ لأنَّ النفي المجرد ليس مدحاً وليس كمالاً، نفي الصفة عن المتصف أو عمن يتصف بها أو عمن يقال أو تنسب إليه قد يكون لنقصه ولعجزه؛ لعدم علمه أولعدم قدرته، فيقال مثلا فلان لا يسيء إلى أحد؛ لأجل أنّه ضعيف، حتى الكافر المشرك المعاند لا يسيء إليه لضعفه، ويقال فلان مثلاً ليس كثير الكلام قد يكون لعجزه عن الكلام بما ينفع، ولهذا قال الشاعر في ذم قبيلة من القبائل:

قُبَيِّلَة لا يخفرون بذمة ولا يظلمون الناس حبة خردل

(**قبيلة لا يخفرون بذمة**) لعجزهم، و العرب كانت تفتخر بالاعتداء وبالقوة، فهو نَفَى عنهم صفة لأجل عجزهم عنها فقال (**ولا يظلمون الناس حبة خردل**) لعجزهم ولهذا إذا نفي الرب Y عن نفسه صفة دلَّ ذلك على كمال ضد هذه الصفة، فمثلاً قوله تعالى ﴿**لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ**﴾[البقرة:255] هذا نفي يدل على كمال حياته I، لا لأرقه مثلاً أو لاهتمامه بخلقه أو لعدم إرادة تركهم حتى لا يفسد الملك أو نحو ذلك، بل (**لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ**) لكمال حياته، كذلك ﴿**وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا**﴾[مريم:64] لكمال علمه وإحاطته.

﴿**لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ**﴾[الإخلاص:3] لكمال غناه I، ﴿**وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ**﴾[الإخلاص:4] لكمال أَحديته سبحانه، ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**﴾[الإخلاص:1]، وهكذا في غير ذلك من الصفات.

---

[9] ذكره الشيخ في الدرس الثاني تحت شرح (وَلا شيءَ مثْلُهُ) في المسألة الخامسة.

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

خَالِقٌ بِلَا حَاجَةٍ ، رَازِقٌ بِلَا مُؤْنَةٍ.
مُمِيتٌ بِلَا مَخَافَةٍ، بَاعِثٌ بِلَا مَشَقَّةٍ.
مَا زَالَ بِصِفَاتِهِ قَدِيمًا قَبْلَ خَلْقِهِ، لَمْ يَزْدَدْ بِكَوْنِهِمْ شَيْئًا لَمْ يَكُنْ قَبْلَهُمْ مِنْ صِفَتِهِ، وَكَمَا كَانَ بِصِفَاتِهِ أَزَلِيًّا كَذَلِكَ لَا يَزَالُ عَلَيْهَا أَبَدِيًّا.
لَيْسَ بَعْدَ خَلْقِ الْخَلْقِ اسْتَفَادَ اسْمَ "الْخَالِقِ"، وَلَا بِإِحْدَاثِ الْبَرِيَّةِ اسْتَفَادَ اسْمَ "الْبَارِي".
لَهُ مَعْنَى الرُّبُوبِيَّةِ وَلَا مَرْبُوبَ، وَمَعْنَى الْخَالِقِ وَلَا مَخْلُوقَ.
وَكَمَا أَنَّهُ مُحْيِي الْمَوْتَى بَعْدَمَا أَحْيَا اسْتَحَقَّ هَذَا الِاسْمَ قَبْلَ إِحْيَائِهِمْ، كَذَلِكَ اسْتَحَقَّ اسْمَ الْخَالِقِ قَبْلَ إِنْشَائِهِمْ.
ذَلِكَ بِأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَكُلُّ شَيْءٍ إِلَيْهِ فَقِيرٌ، وَكُلُّ أَمْرٍ عَلَيْهِ يَسِيرٌ، لَا يَحْتَاجُ إِلَى شَيْءٍ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الشورى:11].

هذه تكملة وصِلَة لما تقدم الكلام عليه من بيان معاني جُمَلِ هذه العقيدة النافعة؛ عقيدة العلامة أبي جعفر الطحاوي /.

ووقفنا عند قوله (**مُمِيتٌ بِلا مَخَافَةٍ، بَاعِثٌ بِلا مَشَقَّةٍ**) وهذا كالجمل التي قبله، فيها إثبات كمال الرب Y، وأنه في كمالاته وصفاته غير مماثل لخلقه، بل ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾[الشورى:11].

فذَكَرَ فيما تقدم جملة من صفات الرب Y وأنه في اتصافه بتلك الصفات لا يماثل المخلوق الذي إذا اتصف بصفة فهو لحاجته لمقتضى تلك الصفة ولضعفه ولافتقاره، والله جل جلاله متَّصِف بصفات الكمال التي مرجعها إلى أنه سبحانه هو الغني الحميد.

هو الغني غير محتاج لمقتضى صفاته وغير محتاج سبحانه لأثر تلك الصفة.

بل هو سبحانه وتعالى فيما يفعل ، يفعلُ لحكمة لا لحاجة Y.

فخَلْقُهُ I للخلق بلا حاجة، ورَزْقه I لهم لحاجتهم إليه لا لحاجته I إليهم، كما مرّ معنا على حد قول الله Y ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ**﴾[فاطر:15].

وجميع صفات الكمال ترجع إلى صفة الغنى وصفة الحمد له سبحانه، وإلى هذين الاسمين العظيمين الغني والحميد، سواءٌ في ذلك صفات الجلال، أو صفات الجمال، صفات الربوبية، أو الصفات التي ترجع إليها معاني العبودية للرب جل جلاله.

قال هنا (مُمِيتٌ بِلا مَخَافَةٍ)

يعني أنّه سبحانه يميت من شاء أنْ يُمِيتَهُ، ويُفْقِدَ من شاء أن يُفقده الحياة، لا لخوف من هذا الذي أفقده الحياة أن يعتدي على مقام الربّ Y؛ ولكن لحكمته سبحانه.

فهو الذي أحيا وأمات، وهو الذي أفقر وأغنى سبحانه لحكمته البالغة العظيمة.

فهو فيما يُحيي لم يُحيِ لحاجة، وفيما أمات سبحانه ما أمات لمخافة؛ بل هو سبحانه الذي يحيي ويميت لحكمة بالغة.

فقال هنا (**مُمِيتٌ بِلا مَخَافَةٍ**) والمخلوق البشر أو غير البشر يعتدي بالإماتة على من يخاف من شره.

وهذا دليل النَّقص في المخلوق؛ لأنه لمَّا لم يكن دافعًا عن نفسه إلا بهذا الفعل صارت في المخلوق هذا من صفات النقص في أنه يميت لمخافته.

وهذا لا يدخل فيه معنى مشروعية الجهاد لأنَّ هذا لمعنىً آخر لا يتعلق بالمخلوق، بل يتعلق بحق الله Y وإقامة دينه وإعلاء كلمته.

فهذا معنى قوله (**مُمِيتٌ بِلا مَخَافَةٍ**).

This file was downloaded from QuranicThought.com

وأنه سبحانه (بَاعِثٌ بلا مَشَقَّةٍ)

باعث الخلق بعد موتهم سواءٌ في ذلك بَعْثُ المكلَّفين أو بَعْثُ غير المكلَّفين بلا مشقة تلحقه سبحانه، ﴿**مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ**﴾[لقمان:28]، وهذا لكمال صفات الرب Y.

إذا تبين لك ذلك، فإنَّ في هذه الجملة من كلامه مسائل أعني قوله (**مُمِيتٌ بِلا مَخَافَةٍ**) فيها مسائل:

المسألة الأولى:

أنَّ (**مُمِيتٌ**) اسم فاعل من (أمات) المتعدي.

والاسم للرب Y المميت، هو سبحانه المحيي المميت.

والمميت صفة كمال مع قرينتها المحيي.

المميت اسم كمال مع قرينه المحيي، فهو سبحانه الموصوف بكونه أحيا وأمات Y.

المسألة الثانية

معنى (**مُمِيتٌ**) أي خَلَقَ الموت، فيمن شاء سبحانه، يعني جعل من شاء مِنْ خَلْقِهِ ميّتاً بعد أن كان حيا.

والموت عند جمهور أهل السنة ومن وافقهم من غيرهم مخلوق موجود.

وهو الذي يعبّرون عنه بأن الموت صفة وُجودية وذلك لقول الله Y ﴿**الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا**﴾[الملك:2] فجعل الموت مخلوقا وتَسَلَّطَ عليه الخلق، وهذا يدل على أنه موجود، (**خَلَقَ الْمَوْتَ**) وخَلْقُهُ يدل على أنه صفة وُجودية.

وكذلك ما جاء في السنة من أحاديث كثيرة فيها أن الموت يؤتى به يوم القيامة على هيئة كبش فيذبح على قنطرة بين الجنة والنار[10]، فهذا يدل على أنَّ الموت موجود وله صفة الوجود.

وهذا له أدلة أيضا كثيرة تدل على ما ذكرنا من أنَّ الموت ليس عدما للحياة، وإنما هو وجودٌ لصفةٍ ليست هي الحياة.

فالحياة وصف صفة، وهو وجود لصفة أخرى، وهذه الصفة الأخرى هي الموت.

هذا هو الذي قرره جمهور أهل السنة.

وقال غير أهل السنة من الفلاسفة وبعض من وافقهم من أهل السنة وهو قول أهل الكلام فيما ذكروه في كتبهم الخاصة بالكلام، قالوا في تعريفهم للموت: **الموت عدم الحياة عمّا من شأنه أن يكون حيّا**.

وهذا التعريف تجده في كثير من كتب التفسير التي ينحو أصحابها منحى أهل الكلام، حتى إنَّ بعضها المنتسبين لمنهج السلف ظنَّ أنَّ هذا التعريف يمشي فنقل بعض النقولات فيها هذا التعريف.

وهذا هو تعريف أهل الكلام والفلاسفة يقولون: الموت عدم الحياة عما من شأنه أن يكون حيا.

ويجيبون عن الآية في قوله ﴿**خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ**﴾ بأنّ الخلق هنا بمعنى التقدير، فيكون عندهم معنى الآية الذي قدّر الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا.

وهذا مصيرٌ منهم إلى أن الموت عدمٌ محض.

وهذا خلاف الأدلة الكثيرة من السنة وأيضا من القرآن التي تدل على أنَّ الموت حياة أخرى.

ولهذا نقول لمن مات إنه في الحياة البرزخية وليس في عدمٍ.

فحياة الإنسان متعلقة بروحه ومتعلقة بجسده.

وحياة الجسد بحلول الروح فيه، فإذا فارقت الروح الجسد صار الجسد عديم الحياة.

---

[10] لما رواه الشيخان: البخاري (4730)/ مسلم (7360) من حديث أبي سعيد الخدري τ أن النبي ﷺ قال (يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ فَيُنَادِى مُنَادٍ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ فَيَقُولُ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا فَيَقُولُونَ نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ ، ثُمَّ= = يُنَادِى يَا أَهْلَ النَّارِ ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ فَيَقُولُ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا فَيَقُولُونَ نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ ، فَيُذْبَحُ ثُمَّ يَقُولُ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ ، خُلُودٌ فَلاَ مَوْتَ ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ ، خُلُودٌ فَلاَ مَوْتَ).

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

لذلك تنتثر أجزاؤه في التراب ويذهب.
وأما الروح وهي داخلة في جملة تسمية الإنسان إنسانا، أما الروح فهي مخلوقة للبقاء لا للعدم.
لهذا إذا قيل ماتَ يعني صار جسمه للعدم أو صار جسمه للفناء، وأما روحه فهي للبقاء، لكن لها حياة تخصُّها.
والجسد عند أهل السنة في القبر له تَعَلُّقْ بالروح؛ فإنَّ الحياة البرزخية للروح عند أهل السنة، والجسد تبع لها؛ تبع للروح، ليست الحياة للروح فقط؛ بل هي للروح والجسد تابع.
عكس الحياة الدنيا؛ فإن الحياة فيك الآن للجسد والروح تبع، فيألم الجسد فتألم الروح، وهكذا يسعد الجسد فتسعد الروح إلى غير ذلك من التفصيل.
وأما بعد الحياة البرزخية يعني بعد الموت، فإنَّ الموت حالة، صفة وُجِدَتْ أدَّت إلى انفصال الروح عن البدن، فصارت الروح بالموت لها حياة تخصُّها، وصار البدن بالموت له صفة تخصه، وبين هذا وهذا تَعَلُّقْ.
يدلُّكَ هذا على صحة ما اختاره أئمة أهل السنة بما دلتهم عليه الأحاديث وظاهر القرآن من أنَّ الموت صفة توجد وليس عدماً محضاً، بل هو موجود له خصائصه.
والموت في الآية مخلوق ﴿**خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ**﴾.
وقولهم إنَّ الموت والحياة هنا تَسَلَّط عليها الفعل (خلق) فيكون بمعنى التقدير، نقول هذا غير مستقيم لأنه علَّلَ ذلك بعده بقوله ﴿**لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا**﴾ وحُسْنُ العمل إنما يكون بعد الوجود، ولهذا قدَّمَ الموت على الحياة؛ لأنّ الموت يكون بعده الجزاء على حُسن العمل، ولِما جاء في السنة من الأدلة.

المسألة الثالثة:

أنّ الموت متعلِّق - يعني إماتة الرب Y - متعلقة بكل شيء، كما قال سبحانه ﴿**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ**﴾[القصص:88]، فكل شيء كُتب عليه الموت، فلا بد أن يموت، (**كُلُّ شَيْءٍ**) يعني مما حَلَّتْهُ الحياة بالروح فلا بد أن يفنى.
وهناك ما اسْتُثْنِيَ مما يموت وذلك في قوله Y ﴿**وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ**﴾[الزمر:68].
والاستثناء هنا في قوله ﴿**إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ**﴾ اختلف فيه أهل العلم على عدة أقوال ترجعون إليها في التفسير:
منها أن يكون المستثنى أرواح الشهداء؛ لأنَّ الشهداء أحياء بنص الآية ﴿**وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ(169)فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ**﴾[آل عمران:169-170] الآيات في آل عمران.
وهذا هو أظهر الأقوال؛ أنَّ المُسْتَثْنَى أرواح الشهداء، فيكون عموم قوله Y ﴿**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ**﴾ على ظاهره في أنه سَيَهْلِكُ كل شيء إلا الرب Y.
وهذا قد جاء في تفسير قوله تعالى ﴿**فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ(14)رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ**﴾ إلى قوله ﴿**لِمَنْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ**﴾[غافر:14-16]؛ لأنّ الرب Y إذا أمات الملائكة المقربين نادى (**لِمَنْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ**)؟ ثم أجاب نفسه العَلِيَّةْ بقوله جل جلاله (**الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ**)، (**لِمَنْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ**)، ثم قال ﴿**الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ**﴾[غافر:17].
وهذا يدلّ على أنَّ المخلوقات جميعاً ضعيفة محتاجة إلى ربها.
فكل من استحضر صفة الموت الذي سيحل به وسيحل أيضا بغيره من المخلوقات، فإنه يظهر له عِظَمْ الرب Y الذي يمسك السموات والأرض أن تزولا، وأنه I هو المحيي المميت، وأنه هو Y هو الواحد الأحد الغني الكامل في صفاته ونعوت جلاله وعظمته.
وأمّا قول الطحاوي (**بَاعِثٌ بِلا مَشَقَّةٍ**) فهذا فيه صفة البعث لله Y وفي موضعه سيأتي إن شاء الله تعالى ذكر مسائل البعث والنشور بتفصيلاتها.

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

قال بعدها (مَا زالَ بصفَاتِهِ قَديماً قَبْلَ خَلْقِهِ، لم يَزدَدْ بكَوْنِهِم شَيْئاً، لم يكنْ قَبلَهُم مِنْ صفَتِهِ).

قوله (**مَا زالَ بِصِفَاتِهِ قَديماً قَبْلَ خَلْقِهِ**...) إلى آخره، أراد به أنه Y لم يزل بصفاته؛ متصفاً بصفاته قبل أن يخلُق الخلق، فصفاته سبحانه ثابتة له قبل وجود المخلوقات المنظورة، التي تراها الآن، والتي لا تُرَى مما هو موجود.

قال (**مَا زالَ بِصِفَاتِهِ قَديماً**) وهذا فيه بحث مرّ معكم في اسم القديم أو في وصف الله Y بالقِدم.

وقوله (**قَبْلَ خَلْقِهِ**) أراد به أنَّه سبحانه ما اتَّصَفَ بالصفات هذه بعد أن خَلَقَ الخلق كما سيأتي في قوله (**لَيْسَ بَعْدَ خَلْقِ الْخَلْقِ اسْتَفَادَ اسْمَ "الْخَالِقِ"، وَلَا بِإِحْدَاثِ الْبَرِيَّةِ اسْتَفَادَ اسْمَ "الْبَارِي)**[11].

ꕥꕥ◊ꕥꕥ

[11] انتهى الشريط الثالث.

الشريط الثالث

This file was downloaded from QuranicThought.com